الباب السابع
فتح مكة والطواف

الطواف بالكعبة فى الجاهلية

كان العرب قبل البعثة يحجون البيت ، ويعتمرون ويحرمون الأشهر الحرم فلا يغزون فيها ، ولا يقاتلون أحداً إلا بعض القبائل مثل طئ وخثعم وبعض بنى الحارث بن كعب ، وكان حجهم وتلبيتهم أشبه بحج وتلبية الإسلام فى بعض مناسك الحج كالترويه والطواف والافاضة والوقوف بعرفة ، إلا ان بعضهم كانوا يطوفون بالبيت عرايا وكان طوافهم فيه صفير وصفق ، وكانت تلبيتهم غير تلبية الإسلام ،بل كان لكل قبيلة تلبية تلبى بها صنمها ، وكانوا يشركون فى تلبيتهم ولقد سبق الحديث عن ذلك صفحة 99 .

رغبة المسلمين فى الطواف قبل فتح مكة

ولقد أشرنا إلى مكانة الكعبة فى النفوس ، فلذلك كان أهل الشرك يعظمونها واستمر تعظيم البيت فى النفوس إلى بعد ما أسلم منهم خلق ولم يكن الحج قد فرض على المسلمين ولكن هفت أنفس كثيرة من المسلمين إلى الحج ومنهم سعد بن معاذ.

قال ابن اسحاق بعد أن ساق رواته أن عبد الله بن مسعود حدث عن سعد بن

---

1) الملل والنحل – هامش ص 696، 697 2) البداية والنهاية جزء 3 - صفحة 5

معاذ أنه كان صديقًا لأمية بن خلف ، وكان أمية إذا مر بالمدينة نزل على سعد بن معاذ ، وكان سعد إذا مر بمكة نزل على أمية ، فلما قدم رسول الله (ص) المدينة ، انطلق سعد بن معاذ معتمرًا فنزل على أمية بمكة ، قال سعد لأمية أنظر لي ساعة خلوه لعلي أطوف بالبيت ، فخرج به قريبا من نصف النهار فطاف ،وانفذ رغبته[1] .

النبي يرمل بالبيت قبل الفتح

قال أبو داود بعد ان ساق رواته عن أبي الطفيل قال قلت لابن عباس يزعم قومك أن رسول الله (ص) قد رمل بالبيت وأن ذلك سنة ، فقال صدقوا وكذبوا ، قلت ما صدقوا وما كذبوا ؟ قال صدقوا رمل رسول الله (ص) وكذبوا ليس بسنة إن قريشا زمن الحديبية، قالت دعوا محمدًا وأصحابه حتى يموتوا موت النغف فلما صالحوه على أن يجيئوا من العام المقبل فيقيموا بمكة ثلاثة أيام ، فقدم رسول الله (ص) والمشركون من قبل قعيقعان فقال رسول الله (ص) لأصحابه أرملوا بالبيت ثلاثًا قال وليس بسنة (ص). وقد رواه مسلم بنحوه وكون الرمل في الطواف سنة مذهب الجمهور فإن رسول الله p رمل في عمرة القضاء وفي عمرة الجعرانه أيضًا كما رواه أبو داود وابن ماجه فذكره وثبت في حديث جابر عند مسلم وغيره أنه عليه السلام رمل في حجة الوداع في

1- البداية جزء 3 – ص 258

الطواف ولهذا قال عمر بن الخطاب فيم الرملان ، وقد أطال الله الإسلام ومع هذا لا نترك شيئا فعله رسول الله (ص) والمشهور أن ذلك كان في عام الفتح والله أعلم[1]

طواف النبى (ص) قبل الفتح:

ثبت في صحيح البخاري عن امرأة من همدان سماها قالت حججت مع رسول الله (ص) فرأيته على بعير له يطوف بالكعبة بيده محجن عليه بردان أحمران يكاد يمس منكبه إذا مر بالحجر استلمه بالمحجن ثم يرفعه إليه فيقبله.[2]

فتح مكة :

نعلم أن النبى (ص) هادن قريشاً واتفقوا على وضع الحرب عن الناس عشر سنوات ولكن إرادة الحق تبارك وتعالى أن يتم نصر نبيه ويفتح مكة كانت على موعد مع خلاف بين قبيلة بكر وقبيلة خزاعه فما دخلت قريش طرفاً فى الصراع الدائر بينهما إلا واعتبر النبى (ص) انها نقضت العهد لأن قريش ساعدت بكر حليفتها على خزاعة حليفة النبى (ص) ونفذت إرادة الحق تبارك وتعالى فقد جهز النبى (ص) جيش المسلمين وسار فى اتجاه مكة .

1- البداية جزء 4 – ص 232 2- البداية جزء 6 – ص 12 0

وكانت القصه حسبما ذكر محمد بن إسحاق وأصحاب الأخبار - أن رسول الله (ص) لما صالح قريشا عام الحديبية واصطلحوا على وضع الحرب بين الناس عشر سنين يأمن فيهن الناس ويكف بعضهم عن بعض وأنه من أحب أن يدخل في عقد رسول الله (ص) وعهده دخل فيه ومن أحب أن يدخل في عقد قريش وعهدهم دخل فيه فدخلت بنو بكر في عقد قريش ودخلت خزاعة في عهد رسول الله (ص) وكان بينهما شر قديم.

ثم إن بني بكر اعتدت على خزاعة وهم على بنر ماء لهم بأسفل مكة يقال له الوتير فخرج نوفل بن معاوية الدؤلي في بني الدئل من بني بكر حتى بيت خزاعة فأصابوا منهم رجلا وتحاربوا واقتتلوا وأمدت قريش بني بكر بالسلاح وقاتل معهم من قريش رجالاً بالليل حتى حازوا خزاعة إلى الحرم وكان ممن أعان بني بكر من قريش على خزاعة ليلتئذ بأنفسهم متنكرين : صفوان بن أمية وعكرمة بن أبي جهل وسهيل بن عمرو مع عبيدهم فلما انتهوا إلى الحرم قالت بنو بكر : يا نوفل إنا دخلنا الحرم إلهك إلهك فقال كلمة عظيمة : إنه لا إله لي اليوم يا بني بكر أصيبوا ثأركم فيه فلما تظاهرت قريش على خزاعة وأصابوا منهم ونقضوا ما بينهم وبين رسول الله (ص) من العهد بما استحلوا من خزاعة - وكانوا في عقده - خرج عمرو بن سالم الخزاعي حتى قدم على رسول الله (ص) المدينة وكان ذلك مما هاج فتح مكة فوقف عليه وهو في المسجد جالس بين ظهراني الناس فقال :

لاهم إني ناشد محمدا حلف أبينا وأبيه الأتلدا

إن قريشا أخلفوك الموعدا ونقضوا ميثاقك المؤكدا

فقال رسول الله (ص) : قد نصرت يا عمرو بن سالم ثم عرض لرسول الله (ص) عنان من السماء فقال : إن هذه السحابة لتستهل بنصر بن كعب وهم أهل عمرو بن سالم ثم خرج بديل بن ورقاء في نفر من خزاعة حتى قدموا على رسول الله (ص) فأخبروه بما أصيب منهم وبمظاهرة قريش بني بكر عليهم ثم انصرفوا راجعين إلى مكة وقد كان رسول الله (ص) قال للناس : كأنكم بأبي سفيان قد جاء ليشتد العقد ويزيد في المدة ومضى بديل بن ورقاء فلقي أبا سفيان بعسفان قد بعثته قريش إلى رسول الله (ص) ليشد العقد ويزيد في المدة وقد رهبوا الذي صنعوا فلما لقي أبو سفيان بديلا قال : من أين أقبلت يا بديل ؟ وظن أنه قد أتى رسول الله (ص) قال : سرت في خزاعة في هذا الساحل وفي بطن هذا الوادي قال : أوما أتيت محمدا ؟ قال : لا فلما راح بديل إلى مكة قال أبو سفيان : لئن كان جاء المدينة لقد علف ناقته بها النوى فعمد إلى مبرك ناقته فأخذ من بعرها ففته فرأى فيه النوى فقال : أحلف بالله لقد جاء بديل محمدا .

ثم خرج أبو سفيان حتى قدم على رسول الله (ص) المدينة فدخل على ابنته أم حبيبة بنت أبي سفيان فلما ذهب ليجلس على فراش رسول الله (ص) طوته عنه فقال : يابنية أرغبت بي عن هذا الفراش أم أرغبت به عني ؟ قالت : بلى هو فراش رسول الله (ص) وأنت رجل مشرك نجس فلم أحب أن تجلس على

فراش رسول الله (ص) فقال : والله لقد أصابك يا بنية بعدي شيء ثم خرج حتى أتى رسول الله (ص) فكلمه فلم يرد عليه شيئا غير أنه قال : نقض أهل مكة العهد .

ثم ذهب إلى أبي بكر فكلمه أن يكلم له رسول الله (ص) فقال : ما أنا بفاعل ثم أتى عمر بن الخطاب فكلمه فقال : أنا أشفع لكم إلى رسول الله (ص) ؟ ! فوالله لو لم أجد إلا الذر لجاهدتكم به ثم خرج فدخل على علي بن أبي طالب رضي الله عنه وعنده فاطمة بنت رسول الله (ص) فقال : يا علي إنك أمس القوم بي رحماً وأقربهم مني قرابة وقد جئت في حاجة فلا أرجعن كما جئت خائبا اشفع لنا إلى رسول الله (ص) فقال : ويحك يا أبا سفيان لقد عزم رسول الله (ص) على أمر ما نستطيع أن نكلمه فيه فالتفت إلى فاطمة فقال : يا بنت محمد هل لك أن تأمري بنيك هذا – يقصد الحسن -فيجير بين الناس فيكون سيد العرب إلى آخر الدهر ؟ قال : والله ما بلغ بني أن يجير بين الناس وما يجير على رسول الله (ص) أحد فقال : يا أبا الحسن - إني أرى الأمور قد اشتدت علي فانصحني قال : والله ما أعلم شيئا يغني عنك ولكنك سيد بني كنانة فقم فأجر بين الناس ثم الحق بأرضك قال أوترى ذلك مغنيا عني شيئا ؟ قال : لا والله ما أظن ولكن لا أجد لك غير ذلك.

فقام أبو سفيان في المساجد فقال : يا أيها الناس إني قد أجرت بين الناس ثم ركب بعيره فانطلق فلما قدم على قريش قالوا : ما وراءك ؟ قال : جئت محمداً فكلمته والله ما رد علي شيئاً ثم جئت ابن أبي قحافة فلم أجد عنده خيراً فجئت

ابن الخطاب فوجدته أعدى القوم ثم أتيت علي ابن أبي طالب فوجدته ألين القوم وقد أشار علي بشيء صنعته فوالله ما أدري هل يغنيني شيئاً أم لا ؟ قالوا : وماذا أمرك ؟ قال : أمرني أن أجير بين الناس ففعلت قالوا : فهل أجاز ذلك محمد (ص) ؟ قال : لا قالوا : والله إن زاد علي على أن لعب بك فلا يغني عنا ما قلت قال : لا والله ما وجدت غير ذلك.

قال : وأمر رسول الله (ص) الناس بالجهاز وأمر أهله أن يجهزوه فدخل أبو بكر على ابنته عائشة رضي الله عنها وهي تصلح بعض جهاز رسول الله (ص) فقال : أي بنية أمركم رسول الله (ص) أعلم الناس أنه سائر إلى مكة وأمرهم بالجد والتهيؤ وقال : اللهم خذ العيون والأخبار عن قريش حتى نبغتها في بلادها فتجهز الناس ثم استخلف رسول الله (ص) على المدينة أبا رهم كثلوم بن حصين بن خلف الغفاري وخرج عامداً إلى مكة .

ثم مضى حتى نزل بمر الظهران في عشرة آلاف من المسلمين ولم يتخلف من المهاجرين والأنصار عنه أحد فلما نزل بمر الظهران وقد عميت الأخبار عن قريش فلا يأتيهم خبر عن رسول الله (ص) ولا يدرون ما هو فاعل فخرج في تلك الليلة : أبو سفيان بن حرب وحكيم ابن حزام وبديل بن ورقاء يتحسسون الأخبار هل يجدون خبرا ؟ قود قال العباس بن عبد المطلب ليلتئذ : وأصباح قريش والله لئن بغتها رسول الله (ص) في بلادها فدخل مكة عنوة إنها لهلاك قريش إلى آخر الدهر.

فخرج العباس على بغلة رسول الله (ص) وقال : أخرج إلى الأراك لعلي أرى حطاباً أو صاحب لبن أو داخلا يدخل مكة فيخبرهم بمكان رسول الله (ص) فيأتونه فيستأمنونه قبل أن يدخلها عليهم عنوة.

قال العباس فخرجت وإني والله لأطوف في الأراك ألتمس ما خرجت له إذ سمعت صوت أبي سفيان وحكيم بن حزام وبديل بن ورقاء وقد خرجوا يتحسسون الخبر فسمعت أبا سفيان يقول : والله ما رأيت كالليلة قط نيراناً وقال بديل : هذه والله نيران خزاعة حمشتها الحرب فقال أبو سفيان : خزاعة ألأم من ذلك وأذل فعرفت صوته فقلت : يا أبا حنظلة فعرف صوتي فقال : يا أبا الفضل فقلت : نعم فقال : مالك فداك أبي وأمي ؟ قلت : ويحك يا أبا سفيان هذا والله رسول الله (ص) قد جاء بما لا قبل لكم به بعشرة آلاف من المسلمين قال : وما الحيلة ؟ قلت : والله لئن ظفر بك ليضربن عنقك فاركب في عجز هذه البغلة حتى آتي بك رسول الله (ص) فاستأمنه فردفني ورجع صاحبه فخرجت أركض به بغلة رسول الله (ص) كلما مررت بنار من نيران المسلمين فنظروا إلي قالوا : هذا عم رسول الله (ص) حتى مررت بنار عمر بن الخطاب فقال : من هذا ؟ وقام إلي فلما رأى أبا سفيان على عجز الدابة قال : أبو سفيان عدو الله ! الحمد لله الذي أمكن منك بغير عهد ولا عقد ثم اشتد نحو رسول الله (ص) فركضت البغلة وسبقته بما تسبق الدابة البطيئة الرجل البطيء فاقتحمت عن البغلة فدخلت على رسول الله (ص) ودخل عليه عمر فقال : يا رسول الله هذا أبو سفيان عدو الله قد أمكن الله منه بغير عهد ولا عقد فدعني فلأضرب عنقه

فقلت : يا رسول الله إني قد أجرته ثم جلست إلى رسول الله فأخذت برأسه وقلت: والله لا يناجيه الليلة أحد دوني فلما أكثر فيه عمر رضي الله عنه قلت : مهلا يا عمر فو الله ما تصنع يا عباس فو الله لإسلامك يوم أسلمت كان أحب إلي من إسلام الخطاب لو أسلم وذلك لأني أعلم أن إسلامك كان أحب إلى رسول الله (ص) من إسلام الخطاب لو أسلم فقال رسول الله (ص) : اذهب به يا عباس إلى رحلك فإذا أصبحت فأتني به قال : فذهبت إلى رحلي فبات عندي فلما أصبح غدوت به إلى رسول الله (ص) فلما رآه قال : ويحك يا أبا سفيان ألم يأن لك أن تعلم أن لا إله إلا الله ؟ قال : بأبي أنت وأمي ما أحلمك وأكرمك وأوصلك ! والله لقد ظننت أن لو كان مع الله إله غيره فقد أغنى عني شيئاً بعد قال : ويحك يا أبا سفيان ألم يأن لك أن تعلم أني رسول الله ؟ قال : بأبي أنت وأمي وما أحلمك وأكرمك وأوصلك ! أما هذه فإن في النفس منها حتى الآن شيئاً قال العباس : قلت له : ويحك ! أسلم واشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله قبل أن يضرب عنقك قال : فشهد شهادة الحق وأسلم وقال العباس قلت : يا رسول الله إن أبا سفيان رجل يحب هذا الفخر فاجعل له شيئا قال : نعم من دخل دار أبي سفيان فهو آمن ومن أغلق عليه بابه فهو آمن ومن دخل المسجد فهو آمن فلما ذهب لينصرف قال رسول الله (ص) : يا عباس احبسه بمضيق الوادي عند خطم الجبل حتى تمر به جنود الله فيراها قال : فخرجت به حتى حبسته حيث أمرني رسول الله (ص) .

قال : ومرت به القبائل على راياتها كلما مرت قبيلة قال : من هؤلاء يا عباس؟

قال : أقول : سليم قال يقول : مالي ولسليم ثم تمر القبيلة فيقول : من هؤلاء ؟ فأقول : مزينة فيقول : مالي ولمزينة حتى نفذت القبائل لا تمر قبيلة إلا سألني عنها فإذا أخبرته يقول : مالي ولبني فلان حتى مر رسول الله ρ في الخضراء كتيبة رسول الله فيها المهاجرون والأنصار لا يرى منهم إلا الحدق من الحديد قال : سبحان الله من هؤلاء يا عباس ؟ قلت : هذا رسول الله ρ في المهاجرين والأنصار فقال : والله ما لأحد بهؤلاء من قبل ولا طاقة والله يا أبا الفضل لقد أصبح ملك ابن أخيك عظيما فقال : ويحك ! إنها النبوة قال : نعم إذا.

فقلت : الحق الآن بقومك فحذرهم فخرج سريعا حتى أتى مكة فصرخ في المسجد بأعلى صوته : يا معشر قريش هذا محمد قد جاءكم فيما لا قبل لكم به قالوا : فمه ؟ قال : من دخل دار أبي سفيان فهو آمن قالوا : ويحك وما تغني عنا دارك ؟ قال : ومن دخل المسجد فهو آمن ومن أغلق عليه بابه فهو آمن فتفرقوا إلى دورهم وإلى المسجد.

قال : وجاء حكيم بن حزام وبديل بن ورقاء إلى رسول الله (ص) بمر الظهران فأسلما وبايعاه فلما بايعاه بعثهما رسول الله (ص) بين يديه إلى قريش يدعوانهم إلى الإسلام.

ولما خرج حكيم بن حزام وبديل بن ورقاء من عند النبي (ص) عامدين إلى مكة بعث في إثرهما الزبير وأعطاه رايته وأمره على خير المهاجرين والأنصار وأمره أن يركز رايته بأعلى مكة بالحجون وقال : لا تبرح حيث أمرتك أن تركز رايتي حتى آتيك ومن ثم دخل رسول الله (ص) مكة وضربت هناك قبته وأمر خالد بن الوليد فيمن أسلم من قضاعة وبني سليم أن يدخل من أسفل مكة وبها بنو بكر قد استنفرتهم قريش وبنو الحارث بن عبد مناف ومن كان من الأحابيش أمرتهم قريش أن يكونوا بأسفل مكة وإن صفوان بن أمية وعكرمة بن أبي جهر وسهيل بن عمرو وكانوا قد جمعوا أناسا بالخندمة ليقاتلوا وقال النبي (ص) لخالد والزبير حين بعثهما : لا تقاتلا إلا من قاتلكم وأمر سعد بن عبادة أن يدخل في بعض الناس من كدي فقال سعد حين توجه داخلا : اليوم يوم الملحمة اليوم تستحل الحرمة فسمعها رجل من المهاجرين فقال : يا رسول الله اسمع ما قال سعد بن عبادة وما نأمن أن يكون له في قريش صولة فقال رسول الله (ص) لعلي بن أبي طالب : أدركه فخذ الراية منه فكن أنت الذي تدخل بها فلم يكن بأعلى مكة من قبل الزبير قتال وأما خالد بن الوليد فقدم على قريش وبني بكر والأحابيش بأسفل مكة فقاتلهم فهزمهم الله ولم يكن بمكة قتال غير ذلك.

وقتل من المشركين قريب من اثني عشر أو ثلاثة عشر ولم يقتل من المسلمين إلا رجل من جهينة يقال له : سلمة بن الميلاء من خيل خالد بن

الوليد ورجلان يقال لهما : كرز بن جابر وخنيس بن خالد كانا في خيل خالد بن الوليد فشذا عنه وسلكا طريقاً غير طريقه فقتلا جميعاً.

وكان رسول الله (ص) قد عهد إلى أمرائه من المسلمين حين أمرهم أن يدخلوا مكة أن لا يقاتلوا أحدا إلا من قاتلهم إلا أنه قد عهد في نفر سماهم أمر بقتلهم وإن وجدوا تحت أستار الكعبة منهم : عبد الله بن سعد بن أبي سرح وإنما أمر بقتله لأنه كان قد أسم فارتد مشركا ففر إلى عثمان وكان أخاه من الرضاعة فغيبه حتى أتى به رسول الله (ص) بعد أن اطمأن أهل مكة فاستأمن به.

وعبد الله بن خطل كان رجلا من بني تميم بن غالب وإنما أمر بقتله لأنه كان مسلما فبعثه رسول الله (ص) مصدقاً وكان له مولى يخدمه وكان مسلماً فنزل منزلا وأمر المولى أن يذبح له تيساً ويصنع له طعاماً ونام فاستيقظ ولم يصنع له شيئاً فعدا عليه فقتله ثم ارتد مشركاً وكانت له قينتان تغنيان بهجاء رسول الله (ص) فأمر بقتلهما معه.

والحويرث بن نقيذ بن وهب كان ممن يؤذيه بمكة .

ومقيس بن صبابة وإنما أمر بقتله لقلته الأنصاري الذي قتل أخاه خطأ ورجوعه إلى قريش مرتدا.

وسارة مولاة كانت لبعض بني المطلب كانت ممن يؤذيه بمكة.

وعكرمة بن أبي جهل فأما عكرمة فهرب إلى اليمن وأسلمت امرأته أم حكيم بنت الحارث ابن هشام فاستأمنت له رسول الله (ص) فأمنه فخرجت في طلبه حتى أتت به رسول الله (ص) فأسلم .

وأما عبد الله بن خطل فقتله سعد بن حريث المخزومي وأبو برزة الأسلمي اشتركا في دمه وأما مقيس بن صبابة فقتله تميلة بن عبد الله رجل من قومه وأما قينتا ابن خطل فقتلت إحداهما وهربت الأخرى حتى استؤمن لها رسول الله (ص) فأمنها وأما سارة فتغيبت حتى استؤمن لها فأمنها فعاشت حتى أوطأها رجل من الناس فرساً له في زمن عمر بن الخطاب بالأبطح فقتلها وأما الحويرث بن نقيذ فقتله علي بن أبي طالب.

فلما دخل رسول الله (ص) مكة وقف قائماً على باب الكعبة وقال : لا إله إلا الله وحده صدق وعده ونصر عبده وهزم الأحزاب وحده ألا إن كل مأثرة أو دم أو مال في الجاهلية يدعى فهو تحت قدمي هاتين إلا سدانة البيت وسقاية الحاج يا معشر قريش إن الله قد أذهب عنكم نخوة الجاهلية وتعظمها بالآباء الناس من آدم وآدم خلق من تراب ثم تلا : { يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى } الآية يا أهل مكة ماذا ترون أني فاعل بكم ؟ قالوا : خيراً أخ كريم وابن أخ كريم قال : اذهبوا فأنتم الطلقاء فأعتقهم رسول الله (ص) وقد كان الله أمكنه من رقابهم عنوة فلذلك سمي أهل مكة الطلقاء.

ثم اجتمع الناس للبيعة فجلس لهم رسول الله (ص) على الصفا وعمر بن الخطاب أسفل منه يأخذ على الناس فبايعوه على السمع والطاعة فيما استطاعوا فلما فرغ من بيعة الرجال بايع النساء [1].

هدم ذى الخلصة

ذكر المبخار.ي. بعد فتح مكة قصة تخريب خثعم المبيت المذي. كانت تعبده ويسمونه الكعبة اليمانية مضاهية للكعبة التي بمكة ويسمون التي بمكة الكعبة الشامية ولتلك الكعبة اليمانية فقال البخاري أن جرير قال قال لي رسول الله (ص) ألا تريحني من ذي الخلصة فقلت بلى فانطلقت في خمسين ومائة فارس من أحمس وكانوا اصحاب خيل وكنت لا أثبت على الخيل فذكرت ذلك للنبي (ص) فضرب يده في صدري حتى رأيت اثر يده في صدري وقال اللهم ثبته واجعله هاديا مهديا قال فما وقعت عن فرس بعد.

قال وكان ذو الخلصة بيتاً باليمن لخثعم وبجيلة فيه نصب تعبد يقال له الكعبة اليمانية قال فأتاها فحرقها في النار وكسرها فلما قدم جرير اليمن كان بها رجل يستقسم بالازلام فقيل له إن رسول رسول الله (ص) ها هنا فان قدر عليك ضرب عنقك قال فبينما هو يضرب بها اذ وقف عليه جرير فقال لتكسرنها وتشهد أن لا إله الا الله أو لأضربن عنقك فكسرها وشهد ثم بعث جرير رجلاً

---

1) تاريخ الطبرى جزء 2 ص 160 – سيرة ابن هشام جزء5 ص 69

من أحمس يكنى أرطأة إلى النبي (ص) يبشره بذلك فلما أتى رسول الله (ص) قال يا رسول الله والذي بعثك بالحق ما جنت حتى تركتها كأنها جمل أجرب ، فبارك رسول الله (ص) على خيل أحمس ورجالها خمس مرات من طرق متعددة.

هدم بيت العزى:

هدم خالد بن الوليد البيت الذي كانت العزى تعبد فيه بنخلة بين مكة والطائف قال الواقدي كان هدم سواع الذي كانت تعبده هذيل برهاط هدمه عمرو بن العاص رضي الله عنه ولم يجد في خزانته شيئا كما هدم مناة بالمشلل وكانت الانصار أوسها وخزرجها يعظمونه هدمه سعد بن زيد الاشهلي رضي الله عنه[1]

قال الامام احمد حدثنا سفيان عن ابن جدعان عن القاسم بن ربيعة عن ابن عمر قال قال رسول الله (ص) يوم فتح مكة وهو على درج الكعبة الحمد لله الذي صدق وعده ونصر عبده وهزم الاحزاب وحده ألا إن قتيل العمد الخطأ بالسوط أو العصا فيه مائة من الابل وقال مرة أخرى مغلظة فيها أربعون خلفة في بطونها أولادها ألا إن كل مأثرة كانت في الجاهلية ودم ودعوى وقال مرة ومال تحت قدمي هاتين إلا ما كان من سقاية الحاج وسدانة البيت فانهما

---

1) البداية والنهاية جزء 4 - صفحة 375 ورواه مسلم بطرق مختلفة

أمضيتهما لأهلهما على ما كانت وهكذا رواه أبو داود والنسائي وابن ماجه من حديث علي بن زيد بن جدعان عن القاسم بن ربيعة بن جوشن الغطفاني عن ابن عمر به قال ابن هشام وحدثني بعض أهل العلم ان رسول الله .

دخل البيت يوم الفتح فرأى فيه صور الملائكة وغيرهم ورأى ابراهيم مصورا في يده الازلام يستقسم بها فقال قاتلهم الله جعلوا شيخنا يستقسم بالأزلام ما شأن ابراهيم والأزلام [ما كان ابراهيم يهوديا ولا نصرانيا ولكن كان حنيفا مسلما وما كان من المشركين ثم امر بتلك الصور كلها فطمست [1] .

وقال الامام أحمد حدثنا سليمان أنبا عبد الرحمن عن موسى بن عقبة عن أبي الزبير عن جابر قال كان في الكعبة صور فأمر رسول الله (ص) أن يمحوها فبل عمر ثوبا ومحاها به فدخلها رسول الله (ص) وما فيها منها شيء.

وقال البخاري حدثنا صدقة بن الفضل ثنا ابن عيينة عن ابن أبي نجيح عن مجاهد عن ابي معمر عن عبد الله هو ابن مسعود قال دخل رسول الله (ص) مكة يوم الفتح وحول البيت ستون وثلثمائة نصب فجعل يطعنها بعود في يده ويقول جاء الحق وزهق الباطل جاء الحق وما يبدي الباطل وما يعيد .

1-البداية جزء 4 - ص301 2- البداية جزء 4 - ص302

وروى البيهقي عن ابن اسحاق عن عبد الله بن أبي بكر عن علي بن عبد الله ابن عباس عن أبيه قال دخل رسول الله (ص) يوم الفتح مكة وعلى الكعبة ثلثمائة صنم فأخذ[2] قضيبه فجعل يهوي الى الصنم وهو يهوي حتى مر عليها كلها.

وقال حنبل بن اسحاق، لما افتتح رسول الله (ص) مكة جاءت عجوز شمطاء حبشية تخمش وجهها وتدعو بالويل فقال رسول الله (ص) تلك نائلة أيست أن تعبد ببلدكم هذا أبداً .

وقال ابن هشام حدثني من أثق به من أهل الرواية في اسناد له عن ابن شهاب عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة عن ابن عباس أنه قال دخل رسول الله (ص) مكة يوم الفتح على راحلته فطاف عليها وحول الكعبة أصنام مشدودة بالرصاص فجعل النبي (ص) يشير بقضيب في يده إلى الأصنام ويقول جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقاً فما أشار إلى صنم في وجهه إلا وقع لقفاه ولا أشار إلى قفاه إلا وقع لوجهه حتىما بقي منها صنم إلا وقع وفي صحيح مسلم عن سنان بن فروخ عن سليمان عن ثابت عن عبد الله بن رباح عن أبي هريرة في حديث فتح مكة قال وأقبل رسول الله (ص) حتى أقبل على الحجر فاستلمه وطاف بالبيت وأتى إلى صنم إلى جنب البيت كانوا يعبدونه وفي يد رسول الله (ص) قوس وهو آخذ بسيتها فلما أتى على الصنم فجعل يطعن في عينه ويقول جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقاً فلما فرغ من طوافه

أتى الصفا فعلا عليه حتى نظر إلى البيت فرفع يديه وجعل يحمد الله ويدعو بما شاء أن يدعوا.

مفتاح الكعبة:

أمر الحق سبحانه وتعالى بأداء الأمانات إلى أهلها وفي حديث الحسن عن سمرة أن رسول الله (ص) قال أد الأمانة إلى من انتمنك ولا تخن من خانك [1].

وذكر كثير من المفسرين أن هذه الاية نزلت في شأن عثمان بن طلحة بن أبي طلحة واسم أبي طلحة عبد الله بن عبد العزى بن عثمان بن عبد الدار بن قصي بن كلاب القرشي حاجب الكعبة المعظمة وهو ابن عم شيبة بن عثمان بن أبي طلحة الذي صارت الحجابة في نسله إلى اليوم أسلم عثمان هذا في الهدنة بين صلح الحديبية وفتح مكة هو وخالد بن الوليد وعمرو بن العاص وأما عمه عثمان بن طلحة بن أبي طلحة فكان معه لواء المشركين يوم أحد وقتل يومئذ كافراً وإنما نبهنا على هذا النسب لأن كثيراً من المفسرين قد يشتبه عليه هذا بهذا وسبب نزولها فيه لما أخذ منه رسول الله (ص) مفتاح الكعبة يوم الفتح ثم رده عليه[2]

وقال محمد بن إسحاق في غزوة الفتح : حدثني محمد بن جعفر بن الزبير عن عبيد الله بن عبد الله بن أبي ثور عن صفية بنت شيبة : أن رسول الله(ص)

1- رواه الإمام أحمد وأهل السنن0 2) تفسير ابن كثير جزء 1 - ص 685

لما نزل بمكة واطمأن الناس خرج حتى جاء البيت فطاف به سبعا على راحلته يستلم الركن بمحجن في يده فلما قضى طوافه دعا عثمان بن طلحة فأخذ منه مفتاح الكعبة ففتحت له فدخلها فوجد فيها حمامة من عيدان فكسرها بيده ثم طرحها ثم وقف على باب الكعبة وقد استكن له الناس في المسجد .

قال ابن إسحاق : جلس رسول الله (ص) في المسجد فقام إليه علي بن أبي طالب ومفتاح الكعبة في يده فقال : يا رسول الله اجمع لنا الحجابة مع السقاية صلى الله عليك فقال رسول الله (ص) أين عثمان بن طلحة ؟ فدعي له فقال له هاك مفتاحك يا عثمان اليوم يوم وفاء وبر .

قال ابن جرير : الآية نزلت في عثمان بن طلحة قبض منه رسول الله (ص) مفتاح الكعبة فدخل في البيت يوم الفتح فخرج وهو يتلو هذه الاية { إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها } فدعا عثمان إليه فدفع إليه المفتاح قال : وقال عمر بن الخطاب لما خرج رسول الله (ص) من الكعبة وهو يتلو هذه الآية { إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها } فداه أبي وأمي ما سمعته يتلوها قبل ذلك .

<u>شيبة بن عثمان بن أبي طلحة العبدري الحجبي:</u>

صاحب مفتاح الكعبة كان أبوه ممن قتله على بن أبى طالب يوم أحد كافراً وأظهر شيبة الاسلام يوم الفتح وشهد حنينا وفى قلبه شيء من الشك وقد هم بالفتك برسول الله (ص) فأطلع الله على ذلك رسوله فأخبره بما هم به فأسلم

باطناً وجاد إسلامه وقاتل يومئذ وصبر قال الواقدى عن أشياخه إن شيبة قال كنت أقول والله لو آمن بمحمد جميع الناس ما آمنت به فلما فتح مكة وخرج إلى هوازن خرجت معه رجاء أن أجد فرصة آخذ بثأر قريش كلها منه قال فاختلط الناس ذات يوم ونزل رسول الله (ص) عن بغلته فدنوت منه وانتضيت سيفى لأضربه به فرفع لى شواظ من نار كاد يمحشنى فالتفت إلى رسول الله (ص) وقال يا شيبة ادن منى فدنوت منه فوضع يده على صدرى وقال اللهم أعذه من الشيطان قال فوالله ما رفع يده حتى لهو يومئذ أحب إلى من سمعى وبصرى ثم قال اذهب فقاتل فتقدمت إلى العدو والله لو لقيت أبى لقتلته لو كان حياً فلما تراجع الناس قال لى يا شيبة الذى أراد الله بك خير مما أردت لنفسك ثم حدثنى بكل ما كان فى نفسى مما لم يطلع عليه أحد إلا الله عز وجل فتشهدت وقلت أستغفر الله فقال غفر الله لك ،وولى شيبة الحجابة بعد عثمان بن طلحة واستقرت الحجابة فى بنيه وبيته إلى اليوم وإليه ينسب بنو شيبة وهم حجبة الكعبة[1]

ديار مكة:

ان مسألة امتلاك دور مكة للفقهاء فيها ثلاثة أقوال : فكان عمر بن الخطاب وابن عباس وغيرهما يقولون : إن القادم إلى مكة للحج له أن ينزل حيث شاء

---

1) البداية والنهاية جزء 8 - ص 213

من ديارها وعلى رب المنزل أن يؤويه وكانت دور مكة تدعى السوائب في زمن رسول الله (ص) وأبو بكر وعمر رضي الله عنهما قال مالك والشافعى دور مكة ملك لأهلها .

وقال عبد الرزاق عن ابن مجاهد عن أبيه عن عبد الله بن عمرو أنه قال : لا يحل بيع دور مكة ولا كراؤها وقال أيضاً عن ابن جريج : كان عطاء ينهى عن الكراء في الحرم وأخبرني أن عمر بن الخطاب كان ينهى عن تبويب دور مكة حتى يتمكن االحجاج من النزول في عرصاتها فكان أول من بوب داره سهيل بن عمرو فأرسل إليه عمر بن الخطاب في ذلك فقال : أنظرني يا أمير المؤمنين إني كنت امرأ تاجراً فأردت أن أتخذ بابين يحبسان لي ظهري قال : فلك ذلك إذا وقال عبد الرزاق عن معمر

عن منصور عن مجاهد أن عمر بن الخطاب قال : يا أهل مكة لا تتخذوا لدوركم أبواباً لينزل البادي حيث يشاء قال :وأخبرنا معمر عمن سمع عطاء يقول :{ سواء العاكف فيه والباد } قال : ينزلون حيث شاؤوا .

وروى الدارقطني من حديث ابن أبي نجيح عن عبد الله بن عمرو موقوفاً من أكل كراء بيوت مكة أكل ناراً وتوسط الإمام أحمد فقال : تملك وتورث ولا تؤجر جمعاً بين الأدلة والله أعلم .

عمر بن الخطاب وديار مكة (1):

وأما المسجد الحرام فأول من أخر البيوت من حول الكعبة عمر بن الخطاب رضي الله عنه ،اشتراها من أهلها وهدمها فلما كان عثمان اشترى دوراً وزادها فيه فلما ولي ابن الزبير أحكم بنيانه وحسن جدرانه وأكثر أبوابه ولم يوسعه شيئاً آخر فلما استبد بالأمر عبدالملك بن مروان زاد في ارتفاع جدرانه وأمر بالكعبة فكسيت الديباج وكان الذي تولى ذلك بأمره الحجاج بن يوسف.

1- البداية والنهاية جزء 2 - صفحة 304

obeikandl.com